KnE Social Sciences

AICHS
The Second Annual International Conference on Human Sciences (AICHS) / Fallujah During the Ottoman & Iraqi Monarchy Eras
Volume 2020

Knowledge E
enriching | engaging | empowering

Conference Paper

The Arab Urban Identity of the City of Fallujah in the Ottoman and Royal Periods

الهوية العمرانية العربية للمشهد الحضري لمدينة الفلوجة في العهدين العثماني والملكي

Dr. Prof. ahmed salman hamadi alfalahi

أ. د. احمد سلمان حمادي الفلاحي

Anbar University - College of Arts - Department of Geography

جامعة الانبار – كلية الآداب – قسم الجغرافية

Abstract

Arab and Islamic urban identity is known for its personality and methods of construction which take into account the psychological and social composition of the Arab human being. This study considers the Arab urban identity of the city of Fallujah, tracing the changes that have taken place in the city in terms of the city plan and urban pattern and land uses.

الملخص

الهوية العمرانية العربية والإسلامية معروفة شخصيتها وطرقها في البناء، التي تراعي التكوين النفسي والاجتماعي للإنسان العربي، اذ ان دراستها بات ضرورة ملحة في الوقت الحاضر تكاد لا تتوقف وتعد الشغل الشاغل لكثير من المفكرين والباحثين، فقد مثلت معاينة المدينة العربية التقليدية التي تعاملت بإيجابية مع البيئة الطبيعية وعبرت عن الثقافة والخصوصية الاجتماعية والدينية للإنسان، ان ما تبقى لنا هو بعض صور من الماضي لتكون بقايا تراثية.

ويهدف البحث إلى دراسة الهوية العمرانية العربية للمشهد الحضري في مدينة الفلوجة اعتمادا على ما طرا على المدينة من تغيرات جذرية وجوهرية وتأثيرها على مكونات هيكلها الحضري من حيث خطة المدينة والنمط العمراني واستعمالات الارض، ومن ثمَّ انعكاسها على بنيتها الحضرية.

Keywords: urban identity, urban texture, urban landscape, Arab city, Society of Fallujah

الكلمات المفتاحية: الهوية العمرانية، النسيج الحضري، المشهد الحضري، المدينة العربية، مجتمع الفلوجة.

Corresponding Author:
Dr. Prof. ahmed salman hamadi alfalahi
dr.ahmedsalman1@gmail.com

Received: 12 April 2020
Accepted: 21 May 2020
Published: 14 June 2020

Publishing services provided by Knowledge E

© Dr. Prof. ahmed salman hamadi alfalahi. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use and redistribution provided that the original author and source are credited.

Selection and Peer-review under the responsibility of the AICHS Conference Committee.

OPEN ACCESS

المقدمة

إن لدراسة المدينة العربية التفصيلية ومدينة الفلوجة واحدة منها لها مقومات وخصوصيه التي تميزها عن غيرها من المدن اذ تمثل نتاج الإنسان العربي المسلم والحيز الذي عايشه عبر الأجيال كاشفا التطور الذي عكس مستوى الإنسان العربي الحضاري بكل أبعاده، اذ تمتلك البيئة العمرانية العربية الأصيلة سمات ومقومات معمارية وتخطيطية رائعة اكتسبتها من خلال تلبية الأسلاف لكل متطلبات الحياة التي كانوا يعيشونها ويحتاجونها ضمن عصرهم سواء أكانت اجتماعية أم ثقافية أم طبيعية والتي جاءت ضمن مبادئ الدين الإسلامي السمحة متوجة لها، فكانت بذلك شاخصا ماديا معبرا وبكل صدق عن الهوية العربية أمام مختلف الحضارات التي عاصرتها.

على أن عامل الاحتكاك مع الحضارات المعاصرة بدايته من الاحتلال الإنكليزي وبروز تيارات معمارية وتخطيطية عالمية وغربية حملت مفاهيم جديدة ومختلفة تماما عن السياق الذي سارت عليه سابقا، إثر بدوره في الواقع العمراني المعاصر على بيئتنا العمرانية الأصيلة نتيجة للتفاعل الحضاري غير المتكافئ بين الاثنين وغياب الفهم السليم لهذه المفاهيم الأمر الذي أفقدنا قدرتنا على ضمان متابعة الهوية العمرانية العربية لمسيرتها الأصيلة وتخبطها ما بين النقل الكامل للقديم أو التقليد الأعمى لما هو غربي وحديث.

ان السبب الحقيقي وراء حالة التخبط التي يعانيها المعماريون العرب ما بين التبعية للماضي او الاستنساخ من الغرب هو غياب الفهم الصحيح للاثنين معا على حد سواء وغياب الاستراتيجية السليمة في عملية الموازنة بينهما، وهذا ما أوقع المدينة العربية في حالة من التعددية الهائلة لمرجعية الهوية العمرانية والتي سببت بدورها حالة من التشتت البصري والفكري، وقد تمت الدراسة الهوية العمرانية من خلال دراسة العناصر الحضارية والهيكل التخطيطي واستعمالات الأرض الحضرية ومن ثم قراءة المشهد الحضري لكل مرحلة زمنية وفق المحاور التالية:

المبحث الاول: الهوية العمرانية العربية

المبحث الثاني: الهوية العمرانية للمشهد الحضري ضمن مرحلة العهد العثماني

المبحث الثالث: الهوية العمرانية للمشهد الحضري ضمن مرحلة العهد الملكي

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الأساسية في وجود قصور معرفي في مفهوم الهوية العربية انعكس على غياب الإمكانيات المحلية لمواجهة تأثيرات الفكر الغربي وتأثيراتها في العمارة المحلية وفقدان الأخيرة لخصائصها المميزة التي تعبر عن الزمان والمكان والبيئة والمجتمع، وعدم استغلال المفردات البيئية بوصفها تحولات في العمارة العربية

المعاصرة ضمن التقاليد العربية الاجتماعية وانعكاسات كل ذلك سلباً على الهوية العمرانية المحلية، والى وجود حالة من الارباك تؤثر على ترابط مكونات الشكل الحضري

فرضية البحث:

بما ان مشكلة البحث هي (الهوية العمرانية العربية للمشهد الحضري لمدينة الفلوجة في العهدين العثماني والملكي) فان فرضية البحث يمكن صياغتها بان الهوية العمرانية السليمة معبرة عن واقع مجتمع باحترام الموروث العمراني والآلفة التي تجمع ما بين القيم التي يحملها المجتمع وللمشهد الحضري لكل مرحلة عمرانية.

هدف البحث:

- استخلاص مؤشرات تحقيق الهوية العمرانية العربية الأصيلة لكل مرحلة عمرانية
- توضيح فكرة الحيوية الحضرية ومستوياتها، وكيفية تأثير النظام العضوي عليها بالاعتماد على آليات النظام العضوي في عملية التخطيط.
- اجراء قراءة للشكل الحضري والمعماري ومحاوله استخلاص اهم العناصر الداخلة في تكوينهما لكل مرحلة زمنية في العهدين العثماني والملكي.

أهمية البحث:

- التأكيد على ان العمارة التقليدية تتسم بالتطبيق الفكري.
- اعتماد البيئة التقليدية بمنهجها الفكري بوصفها موجهاً للتواصل وهو ضرورة لتحقيق عمارة اسلامية معاصرة.
- ان التواصل يؤدي فعلاً رئيسياً في عملية التحول بالبيئة العمرانية المعاصرة.
- ان المدينة العراقية هي مدينة اصيلة ذات بنية عمرانية متواصلة

المبحث الاول: الهوية العمرانية العربية

ان لمفهوم الهوية اثرا كبيرا في تحديد طريقة ادراكنا للمحيط العمراني الذي نعيش فيه واسلوب تعاملنا معه، وترتبط الهوية العمرانية بخصوصية المكان ومحاكاتها للمناخ المحلي لكل للمدينة وارتباطها بعامل الزمان أيضا من خلال انتقائيتها ومحاكاتها للتراث المحلي، فضلا عن خاصيتها في الابتكار المعماري، إذ إن الهوية العمرانية تتأثر بالزمن أي انها ديناميكية، معنوية وهذا ما يمنحها القدرة على الابتكار المعماري وان المناخ هو احد العوامل المهمة في ولادتها وهذا يحقق لها سمة الامتياز عن الغير[1]، كما ان محاكاتها للتراث المحلي بعد فهمه يعد احد

السبل لتحقيقها فالهوية هي التي تجعل مكانا ما مميزا عن غيره من ألاماكن ومألوفا في نفس الوقت فضلا عن ارتباطها بعامل المعنى.

ويعد المشهد الحضري هو الفن الذي يتم من خلاله الأبصار أو المشاهدة لكل ما له علاقة في إثارة الذاكرة والتجربة لما تبصره العين المجردة وتدركه الأحاسيس البشرية. لتنظيم مشهد حضري هناك محددات ومؤشرات عامة توفر للمصمم إمكانية تحقيق خصائص معينة في المشاهد الحضرية للبيئة الحضرية المراد تصميمها إذ يتم تحديد صيغ لترتيب العلاقات بين العناصر من جهة، مقابل الخصائص التعبيرية التي تثيرها هذه الأوضاع من العلاقات من جهة أخرى[٢]، وتكتسب مكونات المشهد الحضري وخصائصها البصرية أهمية كبيرة في دراسة أي مشهد حضري، لأنها تعطي للأشكال والتكوينات المعمارية، وهي التي يستطيع المتلقي يشاهدها ويدركها سيتم التعرف على هذه المكونات وأهميتها في تكوين صورة المشهد الحضري من خلال الاطلاع على بعض الطروحات المعمارية ذات العلاقة بالتصميم الحضري[٣].

وان لخصائص البيئة العربية الصحراوية أحد السمات المميزة للنسيج الحضري في المدن العربية الاسلامية، إذ اصبحت الحلول والمعالجات الحضرية والمعمارية التي يلجأ اليها المعمار العربي المسلم للتكيف مع هذه العوامل من الصفات الملازمة للتكوينات المعمارية والفضاءات الحضرية، وليس من الغريب ان نجده يجهد نفسه في البحث عن الظل والظلال والماء والخضرة بعيدا عن لهيب الشمس المحرقة ورمال الصحراء اللاهبة، ومن ضمن المعالجات المعمار العربي لجئ قدر الامكان الى حماية هذه المسالك والفضاءات بالتظليل وجعلها ملتوية وضيقة تتشتت فيها الرياح اللاهبة المحملة بالغبار والرمال والسموم[٤]، حيث يسعى الى اكتشاف الشكل المثالي الذي يحقق مايكرو مناخ ملائم لمتطلبات الانسان الفيزيائية والسيكولوجية وضمن حدود الراحة البيئية وبالاعتماد قدر الامكان على الوسائل الذاتية في السيطرة على قوى الطبيعة القاسية وتأثيراتها.

فالعمارة العربية الاسلامية كما يصفها الكثيرون عمارة تنظر الى الداخل حيث ساعد هذا التكوين على تقليل السطوح المعرضة للإشعاع الشمسي المباشر الى اقل ما يمكن مع توفير اكبر قدر ممكن من الظلال فادى بذلك الى تقليل الطاقة الحرارية النافذة الى المباني وخفض درجة حرارة الهواء في الآزقة الضيقة والمظللة، مقارنة مع درجة حرارة الفناءات الداخلية المفتوحة التي تستلم كميات اكبر من الاشعاع الشمسي مما يؤدي الى تخلخل وانخفاض في الضغط الجوي داخل الفناء مقارنة بالزقاق مما يساعد على خلق تيارات هوائية تعمل على تلطيف المناخ في المدينة[٥]، إذ توفر ظروف مريحة نسبيا لحركة السابلة من السكان وللانتقال بين ازقة وفضاءات المدينة وتنعكس هذه العملية في الليل بسبب سرعة الفناء في تصريف الحرارة المنبعثة من الهيكل الانشائي لسعة حجمه الفضائي مقارنة بالزقاق.

المبحث الثاني: الهوية العمرانية للمشهد الحضري ضمن مرحلة العهد العثماني:

مثلت المنطقة المحيطة بموضع الفلوجة شهدت حركة واسعة في استقطاب الهجرات البشرية واقامة المستوطنات، يتمتع موضع المدينة بخصائص جغرافية مكنتها من النمو والازدهار وممارسة العديد من الوظائف، فهي تقع في بقعة خصبة، وأنهارها كثيرة وصالحة للملاحة، وتعد منطقة الدراسة حلقة وصل بين أشهر الطراق التجارية للعراق بالأقاليم والدويلات المجاورة، وكانت القوافل التجارية تسلكها منذ ابعد عصور وهو طريق المؤدية الى الاقاليم الغربية[٦].

كانت مدينة الصقلاوية في العهد العثماني هي المركز الإداري قبل نشوء مدينة الفلوجة بسبب قربها من مدينة الأنبار التاريخية فضلاً عن قربها من نقطة التقاء نهر الفرات بجدول الكرمة (الصقلاوية حاليا) والذي يوصل نهر الفرات بنهر دجلة، وهو يربط بغداد بمدن الفرات الأعلى وانتهاءا بعاصمة الخلافة العثمانية استنبول وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر أصاب الإهمال مرافق الري، وكان إهمال الملاحة النهرية سببا في فقدان أهميته الاتصالية نظير الاهتمام بالطرق البرية وخاصة الطريق البري الذي يربط بغداد مع بلاد الشام فصار الطريق الرئيس في التجارة، فأدى ذلك إلى تدهور مدينة الصقلاوية وقلة أهميتها التجارية[٧].

كانت الفلوجة قرية تابعة لناحية الصقلاوية التي أقدم العثمانيون على تأسيسها سنة ١٨٧١ والتي اتبعت إداريا لقضاء الرمادي ضمن تشكيلات سنجق بغداد، واشتهرت سكان الفلوجة بتقديم الخدمات للمسافرين وازدادت أهميتها مع قيام الوالي مدحت باشا ببناء الطريق البري وانشاء جسرا خشبيا سنة ١٨٨٥[٨]، وكان الطريق في بادئ الامر يسير بمحاذاة جدول ابي غريب ثم عدل بعد ذلك ليأخذ شكله المستقيم الحالي ويمر هذا الطريق بموضع الفلوجة الحالي، مما ادى الى نمو الفلوجة على حساب مدينة الصقلاوية، ونظرا لأهمية المدينة وتوسعها العمراني قدم مجلس بغداد الى الحكومة المركزية في استنبول سنة ١٨٩٥ مقترحا بان تصبحت الفلوجة ناحية بدلاً عن الصقلاوية، فقد باتت الأخيرة قرية تابعة لها بعد انتهاء أهميتها إداريا لقضاء الدليم (نسبة إلى عشائر الدليم التي تسكنه) ضمن تشكيلات سنجق بغداد، وقد تم في السنوات المحصورة بين ١٩٠٠-١٩١٧ بناء عدد من الدور بعد بناء مقر ناحية الفلوجة مقابل جامع كاظم باشا ودار اول مدير للناحية وهو بصيرت أفندي الذي كان مديراً لناحية الصقلاوية، وتبع ذلك بناء عدد من الدور للموظفين الاتراك، وكانت تضم أربعة خانات وثلاثة مقاهي، وتلغرافا واحدا، مع (مكتب) للتعليم الابتدائي فضلا عن انتشار عدد من الكتاتيب سميت بأسماء الملالي[٩], ولم تكن الفلوجة في ذلك الوقت تضم تكتلا سكانيا كبيرا فقد كانت تشتمل على ما يقرب مائيين دار بعد ان هاجر إلى الفلوجة بعض من سكنة المناطق المجاورة ولا سيما من الصقلاوية والرمادي ومدن أعالي الفرات[١٠].

اعتمد تخطيط هذه المرحلة نظام الحارات فلكل حارة نواة، اذ مثل خان الملا عويد حمود وجامع كاظم باشا في الجزء الغربي من حي السراي مراكز نويات للنمو، فقد بنيت حولها المنازل بشكل متلاصق وذلك لسهولة الوصول، وقد استمر التوسع البطيء دون خطة مسبقة Unplanning، في الاتجاه الشمالي (الجزء الغربي من حي الحصوة القديمة) إذ تميزت هذه المرحلة بغياب الممارسات التخطيطية المقدمة من جهات رسمية مختصة بتخطيط المدن، مما اسهم في ان تصبح قطع الأراضي غير منتظمة في شكلها ومساحتها فضلا عن تداخلها تحت تأثير نظام الشوارع العضوي[١١]، وبهدف استيعاب خصائص هذه المرحلة يمكن دراستها وفق.

أولا: العناصر الحضرية للمشهد الحضري

١: نهر الفرات

ان وقوع الفلوجة على نهر الفرات الدائم الجريان وتحديدا على الجانب الايسر منه وفر كميات من الماء للنشاطات البشرية كافة داخل المدينة، إن توافر كمية كافية من المياه في الموضع يعد من العوامل المهمة التي يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار في اي مدينة، اذ ان لنهر الفرات في توحيد نواتي المدينة الجامع الكبير وخان عويد حمو، واثر في شكل المدينة منذ نشأتها فجعله مستطيلاً ويتصل بها من جانبها الغربي، وعزز من وظيفتها التجارية والخدمية، اذ تنتشر على ضفته مباني ادارة السراي والحامية العسكرية والجامع الكبير واعداد كبيرة من الخانات.

٢: الجسر القديم (جسر القوارب)

ويعد من أبرز معالم المدينة، وأشار إليه معظم الرحالة بنوع من الاهتمام لأنه المعبر البري الوحيد الذي يربط العاصمة بغداد ببلاد الشام، ولتسهيل عملية سير القوافل القادمة من الشام والذاهبة إليها، أسس العثمانيون جسرا خشبيا سنة ١٨٨٥، اذ قامت الدائرة الهندسية لدائرة بلدية بغداد الثالثة بأعمال نصب الجسر الخشبي على نهر الفرات صورة (١)، كانت الية تشييد وتنصيب الجسر من قوارب تُثبت الواحدة الى جنب الاخرى، ثم تُرصف عليها الواح خشب مطلية بالقار يتم تأمين الواحد منها للأخر بواسطة مواد رابطة. ويتم الامساك بعموم الجسر موقعيا من خلال كابلات تُربط بشكل راسخ بضفتي النهر، فيما يتم وضع المراسي للجسر عند مجرى النهر[١٢].

صورة (١) صورة توضح الجسر الخشبي الذي أنشأه العثمانيون عام ١٨٨٥

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

٣: الجامع كاظم باشا (الجامع الكبير):

مثلت الارض الممتدة من رأس الجسر الخشبي الى بداية الارض الزراعية المسماة فيما بعد بـ (البلاوي) مسجلة باسم الضابط العثماني الفريق كاظم باشا، فقد تمت موافقته على بناء مسجد صغير وسمي هذا المسجد (مسجد الوقف)، يؤدي مهمته للمدة (١٨٨٥ - ١٨٩٨)، لأنه في سنة ١٨٩٨ تم اكتمال بناء جامع كاظم باشا الكبير (جامع الفلوجة الكبير حالياً) صورة (٢)، وتم هدم المسجد الصغير (مسجد الوقف) لانتفاء الحاجة اليه حيث إنه قريب جدا الى جامع كاظم باشا الكبير.

صورة (٢) صورة توضح جامع كاظم باشا (الجامع الكبير) لسنة ١٨٩٨

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

٤: خان عويد حمو

إن كلمة الخان هي لفظة أعجمية معربة، وتعني المكان الخاص بإقامة التجار والمسافرين وحفظ أمتعتهم وبضائعهم، وأصبحت في أحيان كثيرة نواة لقيام قرى أو مدن بالقرب منها، تم تأسيس خان الفلوجة هذا من قبل السيد عويد بن حمو، الذي قَدِم من الصقلاوية، على مقربة من الشط (نهر الفرات) بمسافة لا تزيد عن (١٠) أمتار، وعلى مقربة من صدر الجسر الخشبي العثماني، وكان الخان عبارة عن صحن واسع مكشوف، تحيط به حجرات تستخدم كمخازن للأعلاف والمستلزمات الاخرى، مع عدة (طولات ومعالف) لربط الخيول والحيوانات صورة (٣)،، وتوجد حجرات أخرى في طابق فوقها لإقامة المسافرين والنزلاء، وكانت مساحة الخان حوالي (١٢٥٧) متر مربع، وأرض الخان أصبحت مسجلة باسم عويد بن حمو وفق سند خاقاني عثماني مؤرخ في سنة ١٨٩٦[١٣].

صورة (٣) صورة توضح الجسر خان عويد حمو لسنة ١٨٩٦

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

٥: قلعة السراي

مبنى السراي العثماني شيد في ١٨٩٨ ليكون مقرا لإدارة الفلوجة وكان المقر يقع مقابل جامع كاظم باشا جعله المشير كاظم باشا مقرا لقوة صغيرة من الجندرمة العثمانية الخيالة بأمره العريف التركي (سليمان أغا) ومستودع لخزن قوت الجيش لغرض ضبط أمن المدينة والاراضي الزراعية التي يملكها المشير وتم تحويلة لاحقا الى اول مركز شرطة صورة (٤).

صورة (٤) صورة توضح قلعة السراي لسنة ١٨٩٨

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

ثانيا: الهيكل التخطيطي للمدينة

تميزت خطة المدينة بمواصفات خطة المدينة العربية اذ نمت في هذه المرحلة بصورة عفوية تفتقر الى التخطيط[١٤]، وبشكل طولي على امتداد شط الفرات وتميزت بالتكتل الشديد Compact وبكثافة سكنية ومعمارية عالية قللت ليس من مساحة الفضاءات الفاصلة بين الدور المتلاصقة، والمحتشدة، فحسب وإنما من مساحة ممرات الحركة (الأزقة) التي تميزت بالتدرج والالتواء والضيق والانغلاق أحيانا.

١: نمط الشارع:

اتصف نظام الشوارع في هذه المرحلة بانه نظام عضوي تميز بالأزقة الضيقة المتعرجة التي لا تتبع نظاما واحدا من حيث الاتساع والاتجاه، كما يكون العديد منها ذا نهايات مغلقة Cul-De-Sac، بتدرج هرمي متعاقب من العام الى الخاص، ويتراوح عرض هذه المسالك بين ٥٠سم و٦ متر، اذ ان النمط العضوي يحتم على ازقة هذه المنطقة ان تكون:

أ: ضيقة:-

وبتفاعل هذه السمة التي يمتلكها الزقاق مع الابنية السكنية الصماء ذات الارتفاع الطابقين من حوله وبوجود الزخارف والشناشيل فان هذا يلي:

- الاعتبارات المناخية (البيئة): وذلك بمنع اشعة الشمس من الدخول الى هذه الازقة فتبقى مظللة طوال النهار ومحتفظة بالهواء البارد.
- الاعتبارات الاجتماعية: بجعلها ازقة خاصة تستخدم من قبل سكان المنطقة حصراً.
- الاعتبارات المعمارية: مراعاة المقياس الانساني حيث يعتمد الانسان كمقياس في تكوينها وتشكلها, كما ان انفتاح هذه الازقة الضيقة على الساحات الصغيرة الرحبة والخاصة باهل المنطقة في نهاية كل زقاق يوفر عنصر المفاجئة للماشي عند انتقاله من فضاء ضيق الى فضاء واسع وانفتاحه المفاجئ على السماء.

ب: ملتوية: -

فهي من خلال هذا الالتواء تخدم النواحي المعمارية من حيث استمتاع المارة بمنظر الشناشيل والزخارف الموجودة على واجهات الدور وبالتالي اغناء البصر ببانوراما الاشكال المعمارية الجميلة المتدفقة على طول المسار، اضافة الى الدور التي تلعبه هذه الالتواءات في المحافظة على خصوصية سكان المنطقة من الغرباء أي إنها تخدم عنصر الخصوصية الاجتماعية.

٢: نمط البناء وقطع الاراضي:

يتميز نمط البناء في هذه المرحلة بسيادة الطابع المحلي الذي يحمل خصائص النسيج التقليدي من حيث التصميم ووضع المعالجات الفنية والمعمارية فضلا عن خصوصية الشكل التي اعطت بعض الصفات مثل عدم انتظام في المساحة وشكل القطعة والتداخل في الوحدات المعمارية وعدم ترك فضاءات بين وحدة معمارية واخرى (التماسك في الوحدات المعمارية) استيعابا للظروف البيئية، وقد ساد في هذه المرحلة استعمال مواد بناء محلية مثل الطابوق والطين واللبن في بناء الجدران، فضلا عن الطابوق المنقول من مدينة الانبار الاثرية في بناء، اما السقوف فكانت تشيد من جذوع النخيل والأعمدة الخشبية والحصران والقصب والبردي، صورة (٥).

صورة (٥) صورة أوضح نمط البناء وقطع الأراضي في العهد العثماني

المصدر : أرشيف بلدية الفلوجة

٣: نمط الوحدات السكنية:

كان طراز السكن في نشأة الفلوجة الحديثة يكيّف بما يلائم الواقع الطبيعي بحسب ما كان متاحاً من فنون معمارية ابتدع معماريوها شكلاً خارجياً للسكن يؤمن التخفيف من حدة اشعة الشمس على المنزل، وقد كانت بعض منازل الفلوجة تضم في داخلها اقبية يقيل بها اصحاب المنزل تتيح درجة حرارة مناسبة مع استخدامهم للمراوح اليديوية المحاكة من سعف النخيل، وقد راعى المعماريون ايضاً ان يكون الشكل الخارجي شناشيل صورة (٦)، لتؤدي وظائف معينة تتعلق بواقع العلاقات الجيروية Neighborhood relation في وقتها فضلاً عما تؤديه من وظائف خارجية تتعلق بنظام المحلة العربية[١٥].

فقد تمثلت الحلول والمعالجات التصميمية إزاء المناخ الحار للمنطقة من خلال علاقة الكتلة بالأجزاء والمتمثلة بعلاقة البيت ككل بالسرداب وعلاقة الفتحات الداخلية الكبيرة بالفناء الوسطي الذي تطل عليه وتأخذ منه الظل والبرودة وعلاقة الفتحات الداخلية الكبيرة بالفناء صغر الفتحات الخارجية (فتحات الواجهات) وذلك بهدف السماح للساكن بالاحتفاظ بالهواء البارد داخل الغرفة وتقليل الأشعة الشمسية الساقطة عليها قدر الإمكان، فضلا عن وجود وظيفتها الاجتماعية المتمثلة في عدم انكشاف سكان الدار للسابلة، واخيراً علاقة هذه المنظومة ككل بعنصر البادكير (ملقط الهواء) وهذا كله ضمن دراسة عميقة لحركة الهواء ما بين الداخل والخارج ضمن منطقة ذات مناخ حار وواقعة على النهر[١٦].

وعلاوة على ما سبق تمتلك جدران الطابق الأرضي والسرداب سمكاً مضاعفاً بمقدار (٥٠) سم لخدمة مفهوم العزل الحراري للمسكن من خلال احتفاظه بالهواء البارد ومنع تسربه إلى الخارج فضلاً عن توفير متانة إنشائية جيدة للمبنى مع احتفاظ جدران الطابق الأول بسمك (٢٤) سم لكي لا تشكل عبئاً وثقلاً على الأسس مع توظيف

المسافة المتبقية من هذه الجدران لأغراض خزن الحاجات المنزلية، فلا يوجد قرار تصميمي دونما دراسة بيئية اجتماعية ومعمارية شاملة.

صورة (٦) صورة أوضح نمط الوحدة السكنية في العهد العثماني

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

ثالثا: استعمالات الأرض

من خلال دراستنا للسمات العمرانية للنسيج الحضري للمدينة في العهد العثماني نجد ان تلك السمات أنتجت نسيجا عضويا يسمح بالتعايش الوظيفي بلا حدود فاصله بين الوظائف الحضرية،اذ نجد الاسواق متصلة بالأحياء السكنية والمؤسسات الاجتماعية مما اكسبها خاصية الدمج والتناسق بين وظائفها مما ييسر لساكنيها التنقل سيرا، إن نسيج المدينة بمساحتها القليلة البالغة (١٦.٧٤) هكتاراً كان نابعاً من حاجات السكان المختلفة ومعداً للتعايش او التجانس الوظيفي، اذ لم يكن هناك تنطيق واضح او حدود بين وظائفها الحضرية، فالأسواق متصلة بمحلات السكن والخدمات الاجتماعية من مساجد وجوامع ومدارس وحمامات موزعة على كامل الفضاء الحضري الذي اكسبها اندماجاً وتناسقاً بين وظائفها ومكنّ ساكنيها من التنقل بسهولة[١٧].

من الخريطة (١) والجدول (١) والشكل (١) نجد ان البنية الوظيفية لمدينة الفلوجة تميزت بتداخلها خلال هذه المرحلة حيث تجمعت مختلف الوظائف حول نواتين هما الجامع الكبير وخان عويد حمو وتوزعت هذه الاستعمالات على محلتين هما السراي والحصوة القديمة التي ضمت مختلف الوظائف واستحوذ الاستعمال السكني على اكبر مساحة اذ بلغت (١١.٨٨) هكتار شغلت نسبة (٧١.٠) % من المدينة، اما الاستعمال التجاري فتعد هذه الوظيفة من اهم الوظائف التي احتوت بها المدينة حيث كانت المنطقة التجارية تتمثل بالسوق

الكبير لتوفير السلع والحاجات الصناعي فكان مقتصرا على الصناعات الحرفية التي توطنت جنبا الى جنب مع المؤسسات التجارية وشغلت مجموع مساحتها (٠.٤٧) هكتار بنسبة (٢.٨) % من المساحة الكلية هذا فضلا عن خان عويد حمو مساحتها (٠.١٣) هكتار مثل نسبة (٠.٨) % من المساحة الكلية، فضلا عن الشوارع العضوية بأنواعها السالكة ذات النهايات المفتوحة والمغلقة شغلت مساحة (٣.٩٠) هكتار ومثلت نسبتها (٢٣.٣) % من المساحة الكلية، اما الاستعمالات الخدمية وتتمثل بجامع كاظم باشا شغلت مساحة (٠.٢٥) هكتار ومثلت نسبتها (١.٥) % من المساحة الكلية، وقلعة السراي مركز للجندرمة (الشرطة) شغلت مساحة (٠.١١) هكتار ومثلت نسبتها (٠.٦) % من المساحة الكلية، ولا يوجد مدارس في هذه المرحلة فقط مدرسة دينية وهي المدرسة الاصفية في الجامع الكبير، وهي للتعليم الإملائي وحفظ ما تيسر من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

خريطة (١) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩١٧

المصدر: وزارة البلديات، دائرة التسجيل العقاري، أرشيف الخرائط، القسم الفني، خارطة مدينة الفلوجة مقياس (١:١٠٠٠)، لسنة ١٩١٩.

جدول (١) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩١٧

ت	نوع الاستعمال	المساحة (الهكتار)	النسبة (%)
1	الاستعمال سكني	11.88	71.0
2	الاستعمال تجاري والصناعي	0.47	2.8
3	خان عويد حمو	0.13	0.8
4	شوارع عضوية	3.90	23.3
5	جامع كاظم باشا	0.25	1.5
6	قلعة السراي	0.11	0.6
	مجموع المساحة الكلية	16.74	100

المصدر: استخرجت المساحات باستخدام برنامج (Arc GIS 10.6.1)

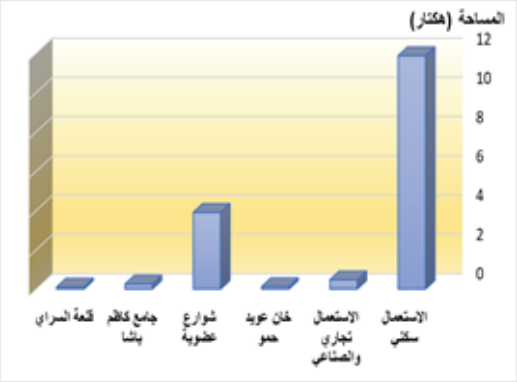

شكل (١) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩١٧

المصدر: بالاعتماد على الجدول (١)

رابعا: المشهد الحضري

ان طبيعة العلاقات المركبة للمجتمع الاسلامي ومتطلبات البيئة الطبيعية قد كونت هيكل المدينة العربية التقليدية العمراني والتي امتازت بقوتها وتماسكها الداخلي، فالتخطيط المتراص للنسيج التقليدي وتداخل مكوناته وتكاملها يعبر عن وحدة التكوين العام، إذ يبدأ الاحساس بالوحدة حال دخول المدينة عبر بواباتها، ويمكن ان نرى ذلك في الازقة الضيقة المتعرجة ذات المشهد المكون من واجهات مستمرة ومغلقة تذوب فيها واجهة البيت الواحد ضمن تكوين المشهد العام للزقاق الذي تتكون واجهته من تكرار العناصر المتشابهة على وفق ايقاع متناغم للوحدات الشكلية كالبروزات والشناشيل[١٨]، وان هذا النمط في التكوين قد تطور ايضاً كتعبير عن الوحدة والانفراد والتميز وتكوين نمط من الترتيب يمتلك خاصية التوجه نحو الداخل على مستويات التكوين جميعها.

تميز المشهد الحضري لمدينة الفلوجة في هذه المرحلة بالعضوية والاحتوائية والمقياس الانساني واعتماده مبدأ الانفتاح نحو الداخل في تصميمه لمختلف الأبنية من دور سكنية ومدارس واماكن للعبادة على قطع الارض ذات التقسيمات غير المنتظمة التي بدورها تعطي التعرجات للأزقة ومسارات الحركة، التي تمكن خلف جدرانها العالية مخططات لبيوت صغيرة او كبيرة، كلها تتجاوب مع المناخ المحلي من جهة، ومع خصوصية الحياة العربية الاسلامية من جهة أخرى، فالنسيج المتضام والدور المتلاصقة والازقة الضيقة كلها تجتمع في ابراز هيمنة وشموخ فضاء الجامع الكبير روحيا وخان عويد حمو ماديا ويميزها كنقاط دلالة في النسيج الصورة (٧). كما طبع النسيج الحضري للمدينة ملامحه بصورة واضحة جداً على العلاقات الاجتماعية لسكانها وذلك من خلال وجود ظاهرة التراص للأبنية الواقعة ضمن هذا النسيج والتي ساعدت على خلق علاقات اجتماعية متينة وقوية بين هؤلاء السكان، هذا فضلا عن تأثير النواحي العمرانية وتوزيع الفضاءات واستعمالات الأراضي.

صورة (٧) صورة توضح المشهد الحضري لمينة الفلوجة في العهد العثماني

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

المبحث الثالث: الهوية العمرانية للمشهد الحضري ضمن المرحلة العهد الملكي:

شهدت مدينة الفلوجة خلال هذه المرحلة توسعا ملحوظا ذلك لتفاعل مجموعة من الاسباب منها نمو عدد السكان وتزايدهم سواء بسبب الزيادة الطبيعية او من خلال الزيادة الميكانيكية (الهجرة) فقد وصل عدد سكان المدينة في عام ١٩٤٧ الى (١٠٩٨١) نسمة (مملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، مديرية النفوس العامة، إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧، بغداد، ١٩٥٤، ص ١٥٧) ثم ليرتفع تعداد ١٩٥٧ (١٩٨٤٤) نسمة[١٩]، وهذا يفسر زيادة الطلب على المساكن والتوسع في استغلال الاراضي للأغراض السكنية مما ادى الى ظهور احياء جديدة تمثلت بأحياء (السراي والحصوة القديمة والحصوة الجديدة حي البولحم).

وكان لموقع مدينة الفلوجة على طريق النقل البري بغداد ـ دمشق وفتح طرق جديدة وتعبيدها داخل المدينة او باتجاه الاقليم التابع وتوسطها منطقة زراعية واسعة تمتد على ضفتي النهر وعلى امتداد قناة الصقلاوية وابي غريب إذ تنتشر عدّة قرى زراعية تمثل الظهير الريفي للمدينة كلها عوامل اسهمت مساهمة فعالة في التوسع الحضري للمدينة، كما ان للعامل الإداري عامل مهم في ظهور المدينة كمدينة إقليمية، مع زوال الحكم العثماني ومجيء الحكم الملكي سنة ١٩٢١، تم تقسيم العراق إلى عشرة ألوية، أصبحت في سنة ١٩٢٤ أربعة عشر لواء، وكان لواء الدليم أحد هذه الألوية، وان التشكيل الإداري للواء كان يتكون من ثلاثة أقضية، هي قضاء الرمادي الذي يشمل مركز قضاء الرمادي وناحية هيت، ثم قضاء الفلوجة الذي أُستحدث في سنة ١٩٢٦ ويتكون من مركز القضاء وناحية الكَرمة، وقضاء عنه يتكون من مركز القضاء وناحيتي حديثة والقائم، كما استحدثت ناحية الرطبة مرتبطة بوزارة الداخلية مباشرة، بهدف إدارة حدود العراق الغربية، وتنظيم شؤون البدو الرحل في الهضبة الغربية[٢٠].

تميزت هذه المرحلة بتأسيس الدولة العراقية وظهور المؤسسات الرسمية جديدة إدارية وخدمية ولزيادة حركة النقل على هذا الطريق أستبدل الجسر الخشبي بالجسر الحديدي سنة ١٩٣٢ ومما أسهم في زيادة عدد السيارات المتنقلة بين مدن الاقليم وزيادة عدد السكان الذين يقصدون المدينة[٢١]، ومن خلال خريطة (٢) لسنة (١٩٤٠) نلاحظ انهُ تم تحديد حدود بلدية الفلوجة ضمن المقاطعة (١٩) ومثلت مساحة الحيز الحضري (٨٣.٣) هكتار مثل نسبة (٤٦.٠) % من مساحة الكلية للمقاطعة البالغة (١٨١.٢) هكتار، وتوسع التجمع الحضري وطرق المواصلات التي تربط هذا التجمع بمدينتي بغداد الرمادي، وقد شهدت هذه المرحلة إنشاء الجسر الحديدي سنة ١٩٣٢ الذي أعطى المدينة أهمية كبيرة على الطريق البري الذي يربط العاصمة بغداد ببلاد الشام، كما استمر التوسع باتجاه الشرق والشمال الشرقي محدداً بالتضاريس وطرق المواصلات الرئيسة.

خريطة (٢) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩٤٠

المصدر: وزارة البلديات، دائرة التسجيل العقاري، أرشيف الخرائط، القسم الفني، خارطة مدينة الفلوجة مقياس (١:١٠٠٠)، لسنة ١٩٤٠.

أولا: العناصر الحضرية للمشهد الحضري

١: الجسر الحديدي

لغرض إقامة وسائط اتصال تؤدي وظائف معينة أنشأ البريطانيون جسرا خشبيا على نهر الفرات وبناء سكة حديد تربط الفلوجة ببغداد لأغراض عسكرية انتفت الحاجة إليها فيما بعد فتم إلغاؤها عام ١٩٢١ أي مع بداية تأسيس المملكة العراقية[٢٢]، وفي سنة ١٩٢٧ وقعت وزارة الإشغال والمواصلات في المملكة العراقية عقد مقاولة مع شركة السير جاكسون البريطانية في لندن لإنشاء الجسر الحديدي في الفلوجة بمبلغ ٩٠٠،٠٠٠ روبية، في ٤/ ٥/ ١٩٣٢

تم افتتاح الجسر الحديدي في الفلوجة من قبل ملك العراق فيصل الأول وحضر معه ولي العهد الأمير غازي ومجموعة من الوزراء والمسؤولين صورة (٨) فضلا عن جماهير غفيرة من مواطني الفلوجة[٢٣].

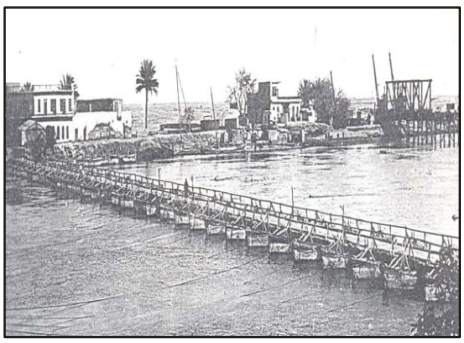

المراحل الأولى لأنشاء الجسر الحديدي سنة 1929

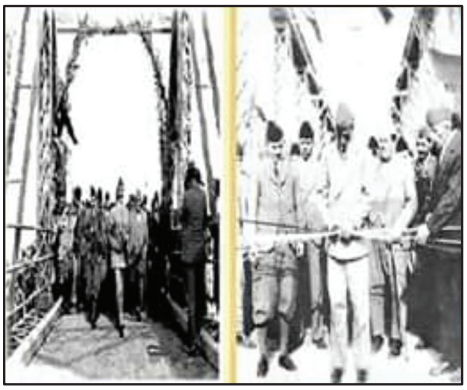

افتتاح الجسر الحديدي من قبل الملك

صورة (٨) صورة توضح انشاء وافتتاح الجسر الحديدي

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

الشارع العام القديم

في كانون الثاني ١٩٣٩ تم تبليط الشارع العام في بغداد ـ الفلوجة بممر واحد بدءاً من مدخل المدينة وحتى رأس الجسر الحديدي ويمثل مساره شارع الكماليات ساحة ميسلون حاليا، وبقيت شوارع الفلوجة غير مبلطة حتى نهاية هذه المرحلة.

الأبنية العامة (الخدمية)

شهدت هذه المرحلة تحولا نوعيا من خلال الإنشاءات والمباني العامة من بناء المدارس المستقلة والتي كانت في المرحلة السابقة عبارة عن دور مستأجرة، تمثلت بـ مكتباً للبريد والاتصال الهاتفي ومركزاً للشرطة ومكتبة ومجموعة مدارس صورة (٩) ومحكمة ابتدائية ودائرة للبلدية ووحدة صحية أولية طورت سنة ١٩٥١ إلى مستشفى

الفلوجة تابع لوزارة الصحة، وعلى الرغم من المساحة الصغيرة التي تشغلها هذه المباني وتدهور معظمها الا انها تحمل دلالات ومعاني رمزية للمحلات السكنية الموجودة فيها، وهي تمثل معظم هذه المعالم شاخصا حضاريا يمثل واقع المدينة في تلك الفترة.

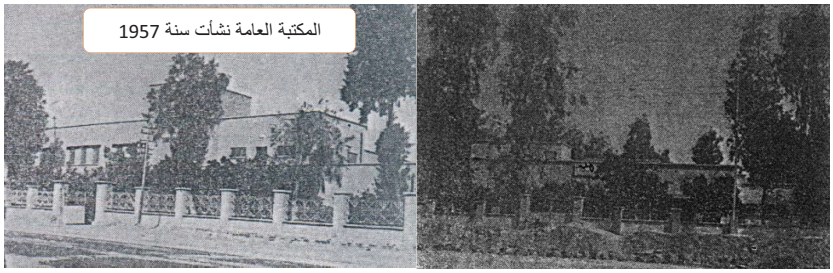

صورة (٩) صورة توضح الأبنية العامة في العهد الملكي

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

ثانيا: الهيكل التخطيطي للمدينة

نلاحظ أن اتجاه توسع المدينة أخذ ثلاثة محاور باتجاه الشمال والشرق والجنوب بشكل نصف دائرة تحيط بالمركز الحضري، وان البناء اخذ النمط العشوائي على امتداد الطرق التي تربط المدينة بالقرى المجاورة من جهة الشمال والجنوب، ونمط آخر منتظم ومخطط على امتداد الطريق الذي يربط الجسر الحديدي بمناطق شرق المدينة

١: نمط الشارع:

شهدت المرحلة تحولات كثيرة لعل أبرزها دخول وسائط النقل الميكانيكية من السيارات والعربات مجال الاستعمال في نقل الأشخاص والبضائع، وكان لابد من ايجاد نوع من الشوارع يستوعب هذا التحول فظهرت الى واقع المدينة شوارع جديدة تتصف بالاستقامة والاتساع ليس في المناطق السكنية الجديدة وانما أيضاً في المدينة القديمة

كانت شوارع المدينة وحتى الثلاثينات عبارة عن مسالك وممرات ضيقة محددة بهيكل المدينة القديم، فالطرق الخارجية ترابية وبأبعاد مختلفة تتسع في بعض المناطق وتضيق في الأخرى، وترتبط هذه الطرق بالشوارع الداخلية من المستوى الأول بوساطة شوارع فرعية.

باشرت بلدية الفلوجة وبعد تأسيسها بتوسيع بعض المسارات والأزقة وفرشها بطبقة من الحجر والحصى، وتراوح عرضها بين (٥ -٦) أمتار، وبدا العمل في فتح الشوارع وتوسيعها في المدينة القديمة بشكل واضح منذ عام ١٩٣٩، اذ حصل في هذا العام والسنوات اللاحقة فتح وتوسيع العديد من الشوارع التي غيرت من نسيج المدينة القديمة وأوجدت فعاليات حضرية جديدة أخذت مواقعها على جوانب تلك الشوارع.

٢: نمط البناء وقطع الاراضي:

شهدت هذه المرحلة ظهور أول تشريع شامل لتنظيم المدن وهو نظام الطرق والأبنية رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٥، الذي حدد طبيعة وشكل ومساحة البناء لمختلف الاستعمالات عموماً والبناء السكني بشكل خاص وعلى أساس صنف المنطقة العمرانية[٢٤]، صنفت مناطق المدينة حسب النظام ضمن الصنفين الأول والثاني ولذلك فان مساحة القطع السكنية كانت صغيرة تراوحت بين (١٠٠- ٢٠٠) متر مربع وفي بعضها يصل الى (٧٥) متر مربع.

استخدمت في المرحلة مواد بناء جديدة أكثر تطوراً ومقاومة للظروف الجوية تمثلت بالطابوق والجص والحديد او قضبان سكة الحديد، وكان الطابوق مادة البناء الاساسية في بناء الجدران وعمل السقوف المعقودة على حديد الشيلمان مع استخدام للجص كمادة رابطة للبناء والتسقيف والتشكيل، ولان الطابوق مادة سهلة البناء والتشكيل، فان الجدران أصبحت اقل سمكاً والفضاءات الداخلية أكثر اتساعاً وانتظاماً.

واصبحت قطعة الارض في هذه المرحلة أكثر انتظاما بسبب انتظام النسيج الحضري حيث اصبحت الشوارع مستقيمة وواسعة ومنتظمة، وكذلك استخدم في هذه المرحلة عنصر جديد هو الشرفات في الطابق العلوي التي اخذت مكان الشناشيل في البيت التقليدي وكذلك ظهور الشبابيك في الطابق الارضي المفتوحة نحو الخارج، صورة (١٠).

صورة (١٠) صورة نمط البيت التقليدي في العهد الملكي

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ ٢٥/٨/٢٠١٩

٣: نمط الوحدات السكنية:

ظهرت خلال هذه الفترة نوعان من الوحدات السكنية:

أ: وحدات سكنية هجينة النمط تمثل البيت التقليدي المحور

في فترة ما بعد دخول الاستعمار الإنكليزي لم يشهد البيت التقليدي انقلاباً جذرياً مباشراً وإنما كان التغيير على مراحل اذ شهدت بعض التحويرات في البيوت التقليدية، إذ أصبح الفناء الوسطي فضاء مسقفا، وقلت نسبة الفضاءات المفتوحة في الوحدة السكنية، واحتوت مساكن هذه المرحلة على الشبابيك الكبيرة في الطابق الأرضي، والأبواب التي تقابل أحداها الأخرى[٢٥]. فقد حافظ البيت التقليدي في المنطقة على معظم معالمه وخاصة الجوهرية منها وهذا أن دل على شيء إنما يدل على احتفاظ السكان بقيمهم وتقاليدهم وعدم سماحهم لأخلاق الغرب وتقاليده الاجتماعية بالتسلل إلى العادات الأساسية واقتصاره على القشرة الخارجية للمبنى، والسبب في ذلك يعود إلى أن التغيير الذي حصل بفعل العامل الاقتصادي والتقني من دخول الكهرباء، فضلا عن الارتفاع البسيط في المستوى المعاشي للسكان وظهور المراوح ووسائل التبريد البدائية التي دفعت السكان للاستغناء عن كاسرات الشمس (الشناشيل)، واستبدالهم للفتحات الخارجية الصغيرة بأخرى كبيرة دونما الاكتراث للحرارة المتسربة ودخول مادة الحديد كبديل عن الخشب واستبدال العناصر الزخرفية بقرميد سمنت ملونه بدلاً من الخشب أيضا الصورة (١١).

صورة (١١) صورة توضح وحدات سكنية التقليدية المحورة في العهد الملكي

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ ٢٥/٨/٢٠١٩

ب: وحدات سكنية تمثل الطراز الغربي الدخيل

وذلك بانغلاق كتلة البيت وتوجيهه نحو الخارج وتجريده من كافة الحلول المناخية والمكانية والاجتماعية والرمزية الدينية واقتصار حوله التصميمية على الاعتبارات الاقتصادية، التقنية المعمارية والاجتماعية الغربية صورة (١٢)، هو أن دل على شيء إنما يدل على تغيير الأفكار الجوهرية للسكان واستبدال أعرافهم وتقاليدهم الاجتماعية المتوارثة بأخرى غربية لا تنتمي إلى مفاهيم الدين الإسلامي التي كانت عرفاً متفقاً عليه من قبل المجتمع طوال الفترات الماضية.

صورة (١٢) صورة توضح وحدات سكنية تمثل الطراز الغربي الدخيل في العهد الملكي

المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ ٢٥/٨/٢٠١٩

ثالثا: استعمالات الأرض

حصلت تغيرات وتطورات واضحة في استعمالات الأرض وبشكل خاص الاستعمالات الخدمية والتجارية والصناعية فضلاً عن الاستعمال السكني، ومع ان هذا التطور كان بطيئاً خلال السنوات الأولى من هذه المرحلة، الا ان السنوات التالية شهدت نمواً حقيقياً ليس في هيكلها العمراني ومساحتها فحسب وانما في مستوى الخدمات ونوعها كالكهرباء والماء والخدمات الاجتماعية والادارية، وكان هذا النمو واضحاً في المحور الشمالي والشرقي والجنوبي وعلى امتداد الشوارع الجديدة ومحاور الطرق الخارجية.

اخذت استعمالات الارض للمرحلة الثانية تتغير لحساب الوظائف التجارية والصناعية والخدمية، وظهرت اسواق محلية جديدة فضلا عن ازدهار الخدمات الصناعية في مدينة الفلوجة على حساب الوظيفة السكنية وزادت كفاءة استغلال الأرض.

بلغت مساحة المدينة في نهاية المرحلة (١٠٠) هكتار، من الخريطة (٣) والجدول (٢) والشكل (٢) نجد ان الأنماط الرئيسة لاستعمالات الأرض، شغل الاستعمال السكني مساحة (١٠٣.٣٨) هكتاراً من مساحة المدينة القديمة بنسبة (٦١.٤) %، وان المساحة التي يشغلها الاستعمال السكني في تقلص مستمر بسبب الغزو والزحف المستمر من الاستعمالات الأخرى ولاسيما التجاري، ويتداخل الاستعمال السكني مع الاستعمالات الأخرى لان المدينة في هذه المرحلة تمثل نطاقاً وظيفياً واحداً تختلط فيه استعمالات الأرض مع بعضها ضمن المدينة والمناطق السكنية (الاشعب ومحمد،، ص ٣٣)، وشغل الاستعمال التجاري مساحة (١.١٧) هكتاراً من مساحة المدينة بنسبة (٠.٧) %، مثلت السوق الرئيس والمحاور الشريطية المتفرعة منه، فضلاً عن المراكز التجارية الثانوية عند بوابات المدينة القديمة، يشمل الاستعمال التجاري محلات البيع بالمفرد التي تحتفظ بموقعها ضمن المنطقة التجارية المركزية الذي يحقق اداء وظيفياً عالياً، وذلك لسهولة الوصول والتنوع في عرض البضائع، وتتوزع محلات البيع بالجملة على حواف المدينة القديمة وبدرجة من التخصص الذي يحقق التكامل الوظيفي اذ تتعامل هذه المحلات بتجارة الحبوب والأصواف والأخشاب، وشغل الاستعمال الصناعي مساحة (١.٣٦) هكتاراً من مساحة المدينة بنسبة (٠.٨) %، ويتمثل بالصناعات الحرفية الصغيرة التي لا تحتاج الى مساحات كبيرة وأيدي عاملة كثيرة، واحتلت هذه الصناعات مواقعها بالقرب من المنطقة التجارية بعد ان كانت تمارس في المنازل، وان سبب هذا التحول يعود الى ان تداول منتجاتها لم يعد لسكان المحلة فقط وانما أصبح للمدينة واقليمها، وكذلك للاستفادة من الأيدي العاملة الرخيصة الموجودة في القطاع السكني المنتشر حولها ومن حركة المشاة الكثيفة، وشغلت استعمالات الأرض لأغراض النقل مساحة (٤٢.١٤) هكتاراً من مساحة المدينة بنسبة (٢٥.٠) %، وهو يأتي بالمرتبة الثانية بعد الاستعمال السكني، ويشمل على الشوارع الرئيسة والفرعية والشوارع المحلية في المناطق السكنية، واتخذت الشوارع في هذه المرحلة نمطين نمط الشوارع العضوية في المدينة القديمة ونمط الشوارع الشبكي العريضة، وشغلت الاستعمالات الإدارية الخدمية مساحة (١٥.٩٣) هكتاراً من مساحة المدينة بنسبة (٩.٥) %، وتشمل على الخدمات التعليمية والصحية والدينية والترفيهية والإدارية وتتوزع هذه الخدمات بشكل مبعثر على كامل أجزاء المدينة.

خريطة (٣) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩٥٨

المصدر: وزارة البلديات، دائرة التسجيل العقاري، أرشيف الخرائط، القسم الفني، خارطة مدينة الفلوجة مقياس (١:١٠٠٠)، لسنة ١٩١٩.

جدول (٢) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩٥٨

ت	نوع الاستعمال		المساحة (الهكتار)	النسبة (%)
1	الاستعمال السكني		103.38	61.4
2	الاستعمال التجاري		1.17	0.7
3	الاستعمال الصناعي		1.36	0.8
4	استعمالات الأرض لأغراض النقل		42.14	25.0
5	استعمال الخدمات	التعليمية	4.70	2.8
		الصحية	3.52	2.1
		الدينية	1.34	0.8
		الترفيهية	2.13	1.3
		الإدارية	4.24	2.5
		مجموع الخدمات	15.93	9.5
6	مقابر		4.41	2.6
	مجموع المساحة الكلية		168.4	100

المصدر: استخرجت المساحات باستخدام برنامج (Arc GIS 10.6.1)

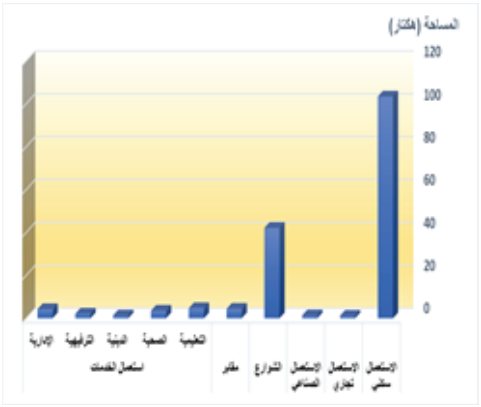

شكل (٢) استعمالات الأرض الحضرية لمدينة الفلوجة لسنة ١٩٥٨

المصدر: بالاعتماد على الجدول (٢)

رابعاً: النسيج الحضري

تبعاً للتغيرات السالفة الذكر والتي شملت العناصر الحضرية والهيكل التخطيطي للمدينة واستعمالات الأرض، لهذه المرحلة من مدينة الفلوجة فقد تغير كل من نسيجها العمراني وبنيتها الحضرية بالنتيجة ولكن بالاتجاه السلبي وليس الايجابي، اذ أن مجرد نظرة إلى المخططات التي تظهر النسيج الحضري للمنطقة في تلك الفترة تعكس لنا حالة التمزيق والاغتراب والإرباك التي يعانيها هذا النسيج، ذلك ان هذا التغيير الاعتباطي غير المدروس قد خلق حالة من عدم التوازن في علاقة الكتلة بالفضاء المحيط بها الفضاء المفتوح، أي أن هناك حالة من عدم التوازن بين العمودي والأفقي من حيث النسبة والتناسب ذلك ان نسبة الأفقي قد زادت وأصبحت أعلى بكثير من نسبة العمودي نتيجة لسعة الفضاءات المفتوحة بالقياس مع حجم ونسب الكتل والمباني ذات الطابق او الطابقين الأمر الذي أعطى فصلاً بصرياً قوياً بين كتل المباني وضعفاً وافتقاراً للتماسك والربط بين الوحدات السكنية وهذا أدى بالنتيجة إلى غياب الوحدة والتكامل بين الدور والمساحات المفتوحة المحيطة في المنطقة الدراسة، فضلا عن غياب الوحدة بين الدور السكنية في علاقاتها مع بعضها البعض بسبب تباين الحلول التصميمية التفصيلية لها والذي أدى بدوره إلى تباين الحلول التخطيطية للمنطقة من حيث شكل الطرق وهيئتها مع غياب الهيمنة الأفقية التي كان يفرضها الجامع كمنطقة جذب ضمن حدودها وافتقارها للتنوع الجمالي في المعالجات التصميمية للمباني صورة (١٣).

صورة (١٣) صورة توضح المشهد الحضري لمدينة الفلوجة في العهد الملكي

المصدر: أرشيف بلدية الفلوجة

الاستنتاجات:

١. وضوح الهوية العمرانية في العهد العثماني المعمارية والتخطيطية لتظافر العوامل تشكيل النسيج العمراني للمدينة الثقافية والطبيعية (السطح والمناخ) والديني والاجتماعي والاقتصادي.

٢. المشهد الحضري في العهد الملكي لا يتسم بهوية عمرانية واضحة لتباين النسيج الحضري والعمراني لمدينة الفلوجة وكان انعكاس للعوامل السياسية والغزو الحضاري على المجتمع.
٣. بروز ظاهرة عدم التوافق والانسجام والملائمة ما بين النسيج التقليدي القديم في العهد العثماني، والهياكل العمرانية في العهد الملكي التي جاءت فاقدة للعناصر الجمالية والبيئية
٤. بلغت ازمة التواصل في عمارة المدن التقليدية ذروتها في منتصف القرن الماضي لعوامل اقتصادية وخصوصا مع وفرة العوائد النفط.
٥. قوة العلاقة للمدينة العربية التقليدية في العهد العثماني، اذ قدمت العمارة التقليدية في الاقاليم الجافة نظم واساليب تحكم مناخي متجانسة مع البيئة على المستويين الحضري والمعماري.
٦. هناك ضعف وقصور لدى المصمم في عملية التواصل مع الموروث العمراني، لاعتقاده ان هذا الموروث لم يعد يلبي متطلبات معاصرة وكأن عملية التواصل مقتصرة فقط على استنساخ العناصر والاشكال المعمارية.
٧. ان ابتعاد المصمم المعماري عن الهوية العمرانية المحلية جعل هذه الهوية تفتقر الى الخصائص المميزة التي تعبر عن الحالة الظرفية للمجتمع.
٨. إن تأكل النسيج الحضري للمحلة التقليدية والمدينة القديمة يرجع فضلا عن عمرها الطويل وإلى التغيرات السريعة ولم تصاحبها حلول علمية شاملة تتفق مع الواقع.

التوصيات:

١. اعتماد سياسات التجديد الحضري وتشجيع السكان على ترميم وصيانة وحداتهم السكنية من خلال منحهم اجازات ترميم على اساس الالتزام بالقواعد المعتمدة في تحديث المدن العربية الاسلامية.
٢. ضرورة الحفاظ على الهوية العمرانية التقليدية بكل مكوناتها وابعادها الثنائية والثلاثية اي النسيج العمراني والمشهد الحضري.
٣. ان التحول امر مسلم به بحكم التطور التكنلوجي ومن الافضل محاولة توظيفه لصالح البيئة، اذ يجب ان لا تكون التحولات العمرانية في سياساتها المختلفة استنساخاً للماضي لان هذا هو الجمود الحضاري، وان لا يكون تقليداً للغرب ينقصه الشخصية العربية الاسلامية.
٤. اهمية حفظ وادامة المواقع التاريخية والتراثية لما تعكسه من هوية المنطقة وثقافة سكانها وموروثها الطبيعي والتي هي الان عرضة للهدم والتغير بدون وعي لأهمتها التأريخية.
٥. لابد من تعزيز الشعور بالانتماء والخصوصية والتقارب الاجتماعي عند تخطيط المساكن من خلال تعزيز مفهوم وحدة الجيرة بهدف صياغة هوية مميزة للمحلة السكنية

٦. تطوير المنطقة التجارية في مركز المدينة بإعادة تنظيم الابنية التجارية والاهتمام بالأسواق التراثية (سوق الحميدية المسقف مثلا) لكي تحافظ على هويتها المعمارية.

٧. ضرورة تطوير الضفة النهرية باعتبارها تمثل لفضاء الحضري الرئيسي الذي يمكن ان يكون منطقة جاذبة للفعاليات الترفيهية والاجتماعية لسكان المنطقة.

هوامش البحث:

(١) الحمداني، بسمة عبد النافع سعيد، ٢٠٠٥، الهوية العمرانية العربية في ظل التوجهات الحديثة دراسة تحليلية للتوجهات العمرانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ص١٤.

(٢) حسين، عبد الرزاق عباس، ١٩٧٣، نشأة مدن العراق وتطورها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ص٥٧.

(٣) الأشعب، خالص، ١٩٩٨ ، المحلة العربية التقليدية بين الاصالة والتحديث، بغداد، بيت الحكمة، سلسلة المائدة الحرة (١٤)، مطبعة الاديب، ص٤٥.

(٤) شاهين، بهجت رشاد، ٢٠٠٦، بعض خصوصيات السكن العربي المعاصر في المناطق الحارة الجافة، المجلة العراقية للهندسة المعمارية، الاعداد ١٩-١١، الجامعة التكنولوجيا، بغداد، ص١٣٦.

(٥) عبد، عبد الله فرحان، ٢٠١١ ، المدينة المعاصرة بين الفكر التخطيطي والادارة الحضرية (مدينة الفلوجة حالة دراسية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، ص٣٦.

(٦) باقر، طه، ١٩٥٥ ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الاول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٣١.

(٧) المحمدي، أحمد فياض صالح، ١٩٩٠، مدينة الفلوجة، دراسة في جغرافية المدن، رسالة ماجستير، آداب جغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص٤٢.

(٨) حسين، عبد الرزاق عباس، ١٩٧٣، نشأة مدن العراق وتطورها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ص٥٧.

(٩) المحمدي، محمد شاكر حمود، ٢٠٠٩ ، تأريخ الفلوجة من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، وزارة الثقافة والإعلام، مجلة روافد، الطبعة الثانية، ص١٦.

(١٠) المحمدي، أحمد فياض صالح، ١٩٩٠، مدينة الفلوجة، دراسة في جغرافية المدن، مصدر سابق، ص٤٤

(١١) الفلاحي، احمد سلمان حمادي، ٢٠٠٥ ، استعمالات الارض الحضرية في مدينة الفلوجة (دراسة خرائطية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ص٨٣

(١٢) المحمدي، محمد شاكر حمود،٢٠٠٩ ، تأريخ الفلوجة من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، مصدر سابق ، ص١٣

(١٣) المحمدي، محمد شاكر حمود، ٢٠٠٩ ، تأريخ الفلوجة من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، مصدر سابق ، ص١٥

(١٤) حسين، عبد الرزاق عباس، ١٩٧٣، نشأة مدن العراق وتطورها، مصدر سابق، ص١٦٨

(١٥) الأشعب، خالص، ١٩٩٨ ، المحلة العربية التقليدية بين الاصالة والتحديث، مصدر سابق، ص٤٥

(١٦) الحمداني، بسمة عبد النافع سعيد، ٢٠٠٥، الهوية العمرانية العربية في ظل التوجهات الحديثة دراسة تحليلية للتوجهات العمرانية في مدينة بغداد، مصدر سابق، ص٨٩

(١٧) كمونة، حيدر عبد الرزاق، ١٩٩٠، إثر المناخ على تخطيط المدينة العربية التقليدية، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ص ٢٩٣

(١٨) الحمداني، بسمة عبد النافع سعيد، ٢٠٠٥، الهوية العمرانية العربية في ظل التوجهات الحديثة دراسة تحليلية للتوجهات العمرانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ص٩٥

(١٩) المملكة العراقية، وزارة الداخلية، ١٩٥٩، مديرية النفوس العامة، المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، لواء الديلم، بغداد، ص ٢٠٣

(٢٠) المملكة العراقية، وزارة الداخلية، صدرت هذه التشكيلة الإدارية بموجب الإدارة الملكية رقم ٨٦٦ لسنة ١٩٢٦

(٢١) الفلاحي، احمد سلمان حمادي، ٢٠٠٥ ، استعمالات الارض الحضرية في مدينة الفلوجة (دراسة خرائطية)، مصدر سابق، ص٨٣

(٢٢) الحسني، عبد الرزاق، ١٩٥٨ ، العراق قديماً وحديثاً، صيدا، مطبعة العرفان، ص٢٧٤

(٢٣) المحمدي، محمد شاكر حمود، ٢٠٠٩ ، تأريخ الفلوجة من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، مصدر سابق، ص٢٤

(٢٤) المملكة العراقية، وزارة البلديات، مديرية البلديات العامة، مجموعة القوانين والأنظمة المتعلقة بالبلديات، بغداد، ١٩٥٧

(٢٥) الأشعب، خالص، ١٩٨٢ ، المدينة العربية: التطور، الوظائف، البنية والتخطيط، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ص٦٥.

المصادر

١. الأشعب، خالص،١٩٩٨، المحلة العربية التقليدية بين الاصالة والتحديث، بغداد، بيت الحكمة، سلسلة المائدة الحرة (١٤)، مطبعة الاديب.

٢. الأشعب، خالص، ١٩٨٢، المدينة العربية: التطور، الوظائف، البنية والتخطيط، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد.

٣. باقر، طه ، ١٩٥٥ ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الاول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٤. الحسني، عبد الرزاق، ١٩٥٨، العراق قديماً وحديثاً، صيدا، مطبعة العرفان .

٥. حسين، عبد الرزاق عباس، ١٩٧٣، نشأة مدن العراق وتطورها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد.

٦. الحمداني، بسمة عبد النافع سعيد، ٢٠٠٥ ، الهوية العمرانية العربية في ظل التوجهات الحديثة دراسة تحليلية للتوجهات العمرانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد.

٧. شاهين، بهجت رشاد، ٢٠٠٦، بعض خصوصيات السكن العربي المعاصر في المناطق الحارة الجافة، المجلة العراقية للهندسة المعمارية، الاعداد ١٩-١١، الجامعة التكنولوجيا، بغداد.

٨. عبد الله، ماهر ناصر، ٢٠٠٥ ، أثر البيئة الطبيعية في النسيج الحضري (حالة دراسية لمدينة السماوة)، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد.

٩. عبد، عبد الله فرحان، ٢٠١١ ، المدينة المعاصرة بين الفكر التخطيطي والادارة الحضرية (مدينة الفلوجة حالة دراسية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد.

١٠. الفلاحي، احمد سلمان حمادي، ٢٠٠٥، استعمالات الارض الحضرية في مدينة الفلوجة (دراسة خرائطية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.

١١. كمونة، حيدر عبد الرزاق، ١٩٩٠، إثر المناخ على تخطيط المدينة العربية التقليدية، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد.

١٢. المحمدي، أحمد فياض صالح، ١٩٩٠، مدينة الفلوجة، دراسة في جغرافية المدن، رسالة ماجستير، آداب جغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد.

١٣. المحمدي، محمد شاكر حمود، ٢٠٠٩، تأريخ الفلوجة من الجذور إلى منتصف القرن العشرين، وزارة الثقافة والإعلام، مجلة روافد، الطبعة الثانية.

١٤. المملكة العراقية، وزارة البلديات، مديرية البلديات العامة، مجموعة القوانين والأنظمة المتعلقة بالبلديات، بغداد، ١٩٥٧.

١٥. المملكة العراقية، وزارة الداخلية، صدرت هذه التشكيلة الإدارية بموجب الإدارة الملكية رقم ٨٦٦ لسنة ١٩٢٦.

١٦. المملكة العراقية، وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، لواء الدليم، بغداد، ١٩٥٩، ص ٢٠٣.

١٧. المملكة العراقية، وزارة الشؤون الاجتماعية، مديرية النفوس العامة، إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧، لواء الدليم، بغداد، ١٩٥٤.